تقرير

ميشال كرم

الأطماع الإسرائيليّة من وايزمان إلى نتنياهو تستحضر المخاوف على ثروات الجنوب

تكشف الاطماع الاسرائيلية في لبنان عن نفسها بوضوح، ليس فقط عبر وثائقها ومواقفها منذ بدايات القرن العشرين، بل ايضا من خلال ممارستها الميدانية التي تجددت في تصريحات وزير ماليتها بتسلئيل سموتريتش حول جعل نهر الليطاني حدودها مع لبنان، بالتوازي مع تدمير الجسور وعزل الجنوب وهدم المنازل الحدودية، لفرض واقع ميداني جديد

مع كل حرب تشنها اسرائيل على لبنان، تتجدد في الذاكرة الجماعية للبنانيين وخصوصا الجنوبيين منهم، هواجس الاطماع التاريخية التي لم تغب يوما عن مخططات المشروع الصهيوني. وهي لا تقرأ فقط في اطار المواجهات العسكرية، بل تستحضر معها المخاوف من سعي دائم الى فرض وقائع جديدة على الارض، سواء عبر محاولات تغيير الحدود او احداث تحولات ديموغرافية في المناطق الحدودية. لذلك يشعر اللبنانيون بأن هذه الاعتداءات المستمرة وما يرافقها من تهجير للسكان وتدمير للقرى والبنى التحتية، قد تستخدم كوسيلة لفرض معادلات تهدد سيادة لبنان ووحدة اراضيه، مما يعيد الى الواجهة المخاوف التاريخية المرتبطة بالمشروع التوسعي الاسرائيلي في المنطقة.

تشير المعطيات الى ان التصورات التوسعية والمشاريع المرتبطة بإعادة رسم حدود المنطقة كانت مطروحة خلال الحرب العالمية الاولى، اي قبل اقرار اتفاقية سايكس بيكو 1916 وصدور وعد بلفور عام 1917، وكانت موضع نقاش في الفكر الصهيوني منذ تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الشرق الاوسط.

الابحاث والوثائق التاريخية التي تناولت مسألة هذه الاطماع في جنوب لبنان عديدة، اضافة الى قطاع غزة والضفة الغربية والقدس واجزاء من الاردن وسوريا. تعود جذور هذه الاطماع الى ما قبل قيام دولة اسرائيل نفسها، اي الى بدايات المشروع الصهيوني منذ تأسيس حركتها بقيادة حاييم وايزمان، واستمرت طروحاتها في ادبيات اسرائيل السياسية واستراتيجيتها لغاية اليوم.

ففي عام 1919، وخلال مؤتمر باريس للسلام الذي عقد في قصر فرساي في باريس عقب الحرب العالمية الاولى، وجه وايزمان رسالة الى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك ديفيد لويد جورج، أكد فيها ان مستقبل المشروع الصهيوني الاقتصادي يعتمد بدرجة كبيرة على الموارد المائية في المنطقة، لا سيما المياه المتدفقة من منحدرات جبل الشيخ وروافد نهر الاردن، اضافة الى نهر الليطاني. وقد اعتبرت هذه الموارد ضرورية لتأمين مياه الشفة وري الاراضي الزراعية، واقامة مشاريع الطاقة الكهربائية والصناعات المرتبطة بها.

في العام التالي، عاد وايزمان ووجه رسالة اخرى الى وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور، شدد فيها على ان نهر الليطاني يشكل موردا مائيا حيويا يمكن ان يؤمن المياه اللازمة للجليل الاعلى، سواء للشرب او للري. عكست هذه الرسائل، الى جانب خرائط ومذكرات اخرى ظهرت في تلك المرحلة، رؤية مبكرة لدى بعض قادة الحركة الصهيونية، تربط بين قيام الدولة الاسرائيلية ومستقبلها الاقتصادي، وبين السيطرة والاستفادة من الموارد المائية في المنطقة المحيطة، مما جعل مسألة المياه عنصرا اساسيا في النقاشات المتعلقة بالمنطقة منذ مطلع القرن العشرين.

كما تكشف مخطوطات الرئيس اللبناني الاسبق اميل اده ومذكراته، التي رفعها الى المراجع والهيئات الدولية عندما كان مشاركا في اعمال الوفدين الاول والثالث الى مؤتمر باريس للصلح عام 1919، عن التحديات التي واجهها. تشير هذه الوثائق الى المخاوف اللبنانية من الطروحات التي تدعمها بعض الدوائر البريطانية المتصلة بالمشروع الصهيوني، والتي سعت الى تقليص الحدود الجنوبية للبنان بحيث تصل الى نهر الليطاني، وبرزت هذه المسألة بشكل واضح خلال لقاء جمع أحد الوفود اللبنانية مع مؤسس الحركة الصهيونية وايزمان الذي طرح فكرة ضم جنوب لبنان حتى نهر الليطاني الى فلسطين، وقد عارض اميل اده هذا الطرح بشدة، مؤكدا تمسك لبنان بحدوده التاريخية ووحدة اراضيه.

وفي إطار مساعيه لتثبيت هذه الحدود، عمل اده

بعد انتخابه رئيسا للجمهورية على ابرام المعاهدة اللبنانية - الفرنسية عام 1936، التي هدفت الى تكريس استقلال لبنان وتثبيت حدوده بضمانات دولية، فيما اعتبر هذا التوجه محاولة لوضع حد للمطالب التي ظهرت في بعض الادبيات الصهيونية والمتصلة بالحدود الجنوبية للبنان، التي تزامنت تاريخيا مع السياق السياسي الذي نشا بعد وعد بلفور 1917. ولم يتوقف العميد ريمون اده عن التحذير من هذا الامر، والتأكيد مرارا بأن اسرائيل تريد ضم الجنوب اللبناني ليس فقط لسلامة الجليل بل تنفيذا لمضمون التوراة والسيطرة على انهر الليطاني والحاصباني والوزاني، مؤكدا في مواقفه على ان اسرائيل اذا انسحبت من الجنوب ستحتفظ لنفسها بحق الدخول العودة اليه عندما تدعو الحاجة، وهذا ما حصل اليوم، لأن العميد اده كان يدرك ان القيادات الصهيونية تولي اهمية قصوى للموارد المائية في جنوب لبنان. لكن مع قيام دولة اسرائيل في العام 1948، شهدت المناطق الحدودية اللبنانية - الفلسطينية توترات متكررة، حيث سعت اسرائيل الى فرض وقائع ميدانية بالقوة عبر محاولات سيطرتها على اراض زراعية حدودية وضغطها على سكان القرى الامامية. وقد طالت هذه الاعتداءات وقتئذ بلدات مثل العديسة وكفركلا وياورن وعيتا الشعب وغيرها من القرى المحاذية للحدود. ومن الاحداث التي تركت اثرا عميقا في الذاكرة الجنوبية، ما جرى في بلدة حولا في 31 تشرين

> **اميل اده رفض في مؤتمر باريس جعل نهر الليطاني حدودا للبنان**

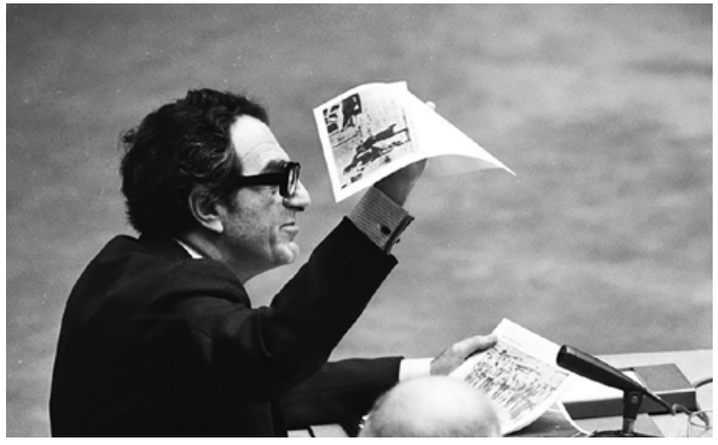

الاول 1948 حين اقدمت اسرائيل على اعدام عشرات المدنيين، في حادثة اعتبرت مثالا صارخا على طبيعة الصراع في تلك المرحلة وحجم المعاناة التي يتعرض لها الجنوبيون.

ساهمت تلك الاحداث في ترسيخ روح المقاومة الشعبية لدى ابناء الجنوب، حيث لجأ عدد كبير منهم الى وسائل بسيطة للدفاع عن ارضهم والبقاء فيها، الا ان ذروتها بلغت في 28 كانون الاول 1968 عندما نفذت قوة كوماندوس اسرائيلية عملية إنزال في مطار بيروت الدولي بواسطة طائرات مروحية دمرت 13 طائرة مدنية كانت متوقفة فيه، في خطوة اثارت ادانات دولية واسعة واعتبرت انتهاكا خطيرا للسيادة اللبنانية.

ثم بدأت مرحلة جديدة في سعي اسرائيل لتحقيق اطماعها، مع توقيع اتفاق القاهرة بين لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية عام 1969، الذي تضمن اعترافا بحق الفلسطينيين في المشاركة بالكفاح المسلح ضد اسرائيل انطلاقا من الاراضي اللبنانية. وقد اتسمت تلك المرحلة بتصاعد التوترات وتوسيع رقعة الاشتباكات وانتهاك سيادة لبنان، الذي تحول الى صندوق بريد لتبادل الرسائل بين القوى الرئيسية في الاقليم، الى ان تكشفت اهداف اسرائيل بشكل علني في حربها على حزب الله في 24 ايلول 2024 عندما صرح المتحدث باسم الحكومة الاسرائيلية ديفيد مينسر بأن "نهر الليطاني هو حدود اسرائيل الشمالية". واعقبت ذلك دعوات صهيونية لاستيطان جنوب لبنان، فيما دأبت حركة استيطانية اسرائيلية على تدمير القرى الامامية الجنوبية، والترويج لفكرة الاستيطان عبر بيع "شقق لجنود الاحتياط بدءا من 300 الف شيكل".

من الواضح ان الحروب المتتالية التي شنتها اسرائيل، لم تكن مجرد ردود فعل ظرفية او عابرة، بل جاءت في سياق استراتيجيا طويلة الامد لتحقيق اطماعها في المنطقة. فقد بدت هذه الحروب في كثير من الاحيان مبيتة، تنتظر اللحظة الاقليمية او المحلية المناسبة لتنفذ خطواتها متذرعة بتأمين ما تعتبره "استقرارا" لحدودها الشمالية، بينما تحولت هذه اللحظات الى محطات مفصلية استثمرتها لاعادة رسم المعادلات على الحدود اللبنانية.

باكورة حروب اسرائيل على لبنان كانت "عملية الليطاني" في آذار عام 1978، حيث اجتاحت ◀

القوات الاسرائيلية الجنوب ووصلت الى نهر الليطاني، ردا على "عملية كمال عدوان" التي نفذتها المقاومة الفلسطينية داخل إسرائيل. هدفت العملية الاسرائيلية الى القضاء على قواعد المقاومة الفلسطينية في الجنوب ومنع استخدامه كمنطلق لشن هجمات ضدها، وقد اسفر هذا الاجتياح عن صدور القرار الاممي الشهير 425 مطالبا اسرائيل بالانسحاب الفوري من جميع الاراضي التي احتلتها، ونص على انشاء قوات الامم المتحدة المؤقتة (اليونيفيل) للمساعدة في بسط سلطة الدولة اللبنانية. الا ان اسرائيل لم تلتزم تطبيق القرار بشكل كامل، اذ اكتفت بانسحاب جزئي مع ابقاء سيطرتها غير المباشرة على ما عرف لاحقا بالشريط الحدودي. لم يؤد هذا الانسحاب الجزئي الى انهاء حالة الصراع، بل فتح الباب امام مرحلة جديدة من التوترات والمواجهات المتكررة، ومهدت عملية الليطاني لعملية اكثر طموحا في اهدافها واكبر حجما وفاعلية تمثلت في اجتياح عام 1982 المعروف باسم "عملية سلامة الجليل"، التي كادت تؤدي الى ترتيبات امنية تضع لبنان كله في دائرة الاطماع الاسرائيلية بما ينسجم مع تطلعاتها المرتبطة بالموارد الحيوية في الليطاني.

كان اجتياح 1982 اكبر الحروب التي شنتها اسرائيل على لبنان، اذ تجاوز الاحتلال نطاق الجنوب ليصل الى العاصمة بيروت حيث حاصرتها قرابة ثلاثة اشهر، تحت عنوان تدمير البنى التحتية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية. اما الذريعة التي استخدمتها لبدء الحرب، فكانت محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن، شلومو أرغوف، على يد مجموعة ابو نضال. ادت هذه الحرب الى خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان وانتقال قياداتها ومقاتليها الى الخارج، كما افضت الى توقيع اتفاق 17 ايار الذي الغاه مجلس الوزراء اللبناني لاحقا في جلسته المنعقدة في 5 آذار 1984.

من نتائج تلك المرحلة ايضا، وقوع مجزرة صبرا وشاتيلا في ايلول 1982 مما جعلها واحدة من اكثر الاحداث دموية واثارة للجدل، وحمل اسرائيل على ابقاء وجود عسكري في الجنوب عبر انشاء حزام امني بمساحة 850 كيلومترا مربعا بعد انسحابها من بيروت ومناطق واسعة، واستمر حتى ايار 2000 حيث اضطرت الى الانسحاب من معظم الاراضي المحتلة بسبب مقاومة حزب الله لها، منهية بذلك مرحلة طويلة من الاحتلال العسكري للبنان.

استمرت تلك العمليات الى ان تمكن حزب الله في تموز 2006 من اسر جنديين إسرائيليين. وعلى الأثر، عبرت القوات الاسرائيلية الحدود الى داخل لبنان بعد ساعتين من عملية الاختطاف، وبدأت حربا جوية واسعة وتوغلا بريا. رد حزب الله بإطلاق عشرات الصواريخ عليها، واسفرت هذه الحرب عن صدور القرار الاممي 1701 الذي دعا الى وقف دائم لاطلاق النار، زيادة قوة الامم المتحدة (اليونيفيل) الى 15 الف عنصر من اجل مراقبة وقف الاعمال العدائية، دعم انتشار الجيش اللبناني، وضمان العودة الآمنة للنازحين.

> **الاطماع الاسرائيلية تتقدم على اتفاق وقف الاعمال العدائية 2024**

تجدد الصراع على الحدود الملتهبة، عندما أعلن حزب الله جبهة لبنان "جبهة اسناد ومساندة" لقطاع غزة في 8 تشرين الاول 2023، في خطوة هدفت الى تكريس مفهوم وحدة الساحات. غير ان هذه الجبهة لم تبق ضمن إطار المناوشات المحدودة التي التزمت الى حد بعيد قواعد الاشتباك المعمول بها منذ انتهاء حرب تموز 2006، وسرعان ما تحولت الى مواجهة مفتوحة اتسمت بتصعيد متدرج ادى الى دمار قرى الحافة الامامية، تهجير الاف السكان، تحويل مناطق واسعة شبه خالية من الحياة، تفجير اجهزة البيجر والاتصال اللاسلكي للحزب في يومين متتاليين، واستهداف كبار قياداته، في مقدمهم الامين العام السيد حسن نصرالله ورئيس اركانه فؤاد شكر وعدد من القادة الميدانيين. استمرت المواجهات الى ان تم التوصل الى اتفاق وقف الاعمال العدائية في 27 تشرين الثاني 2024.

على الرغم من الهدنة، لم تكن اسرائيل معنية بوقف عملياتها العسكرية بقدر ما كانت تسعى الى تحقيق اطماعها والسيطرة على جنوب الليطاني بما يحويه من موارد وثروات فوق الارض وتحتها، وصعدت من استهدافاتها شبه اليومية عبر تنفيذ اغتيالات طالت قيادات وعناصر في حزب الله، وشنت غارات جوية مكثفة على ما اعتبرته مخازن اسلحة ومواقع عسكرية. غير ان مسار المواجهة دخل مرحلة أكثر عنفا، عندما اطلق حزب الله، الذي كان ملتزما تنفيذ اتفاق وقف النار، صواريخه باتجاه اسرائيل الاثنين 2 آذار، مما ادى الى تعميق اسرائيل لاطار غاراتها ضمن المناطق السكنية، وتوسيع رقعتها لإفراغها سكانيا، وسط احتدام متدحرج ينذر بأن تكون المراحل المقبلة للحرب التي تطوي اسبوعها الثالث اشد وطأة من كل فصولها السابقة، سواء لجهة العمليات الحربية او لتداعيات غير مسبوقة للحرب الاقليمية التي شملت 12 دولة.

LAU Medical Centers
Rizk Hospital | Saint John's Hospital

LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University
Gilbert and Rose-Marie Chagoury School of Medicine

Healing with Compassion

At our Academic Medical Centers, LAU Medical Center-Rizk Hospital in Ashrafieh, and LAU Medical Center-Saint John's Hospital in Jounieh, it's all about YOU.
We take pride in our excellence in patient care, high-quality teaching, research, and innovation, all practiced in close partnerships with superior health professionals.

Featuring diverse specialized clinics and outstanding facilities, including state-of-the-art operating rooms.
As a pioneer in the region, the Hybrid Operating Room is supported by a team of highly qualified physicians, nurses, and staff, all dedicated to "healing with compassion".

Guided by a steadfast and unwavering commitment to fulfill our mission and support our vision, YOU are at the core of our model.

Visit our Medical Centers to experience exceptional medical care and outstanding compassionate service.

laumcrh.com / laumcsjh.com
Tel: 01 200 800 / 09 640 140